أ.د. محمد رضا رضوانطلب
استاذ في جامعة طهران - ايران

دراسات ومقالات

استراتيجية التقريب بين المذاهب الاسلامية

الحمد لله والسلام على رسول الله وعلى اصحابه واتباعه الذين نهجوا نهجه. الهي أرنى الحق حقاً فأتبعه والباطل باطلاً فاجتنبه.

يفتتح المؤتمر الثامن العشر للوحدة الاسلامية تحت عنوان استراتيجية التقريب بين المذاهب الاسلامية في وقت تصل حركة التقريب بين المذاهب الاسلامية الى عمرها الستين[1] ويمر ١٤ قرناً على اوّل غرس تقريبي، غرس بيد الامام علي(ع) .

يبدو ان البحث عن الاستراتيجية التقريبية قد جاء متأخراً وفقاً للفهم المعروف عن الاستراتيجية، لكن عند ما ندرس المفهوم الواقعي للاستراتيجية سوف نصل الى ان الموضوع يرتبط بالمتغيرات المختلفة وفقاً لمتطلبات العصر. وهو موضوع حيوي دوري بل وسنوي وهو عملي دائماً .

لذا بداية ندرس مصطلح (الاستراتيجية) ثم (التقريب)، والاستراتيجية التقريبية والاهداف والمشاريع العملية المرتبطة بها.

مفهوم الاستراتيجية

مراجعة كتب اللغة المتعددة تكشف لنا ان مصطلح الاستراتيجية[٢] ولد في دائرة العلوم العسكرية فهو مأخوذ من كلمتي Stratos بمعنى الجيش وageing بمعنى القيادة. لكن اللغويين ذكروا له معانٍ عديدة ومختلفة، والمدراء استخدموه في العلوم الادارية ووضع البرامج الاساسية. والتعريف المختصر لهذا المصطلح هو: «الطريقة او السياسة العامة للحصول على الاهداف المعينة»[٣]. وعلى هذا فان الاستراتيجية بحاجة الى تعيين الاهداف مسبقاً، والى تبيين جزئيات البرنامج وخريطة العمل وتوصيف ورصد المستلزمات الضرورية لذلك. الاستراتيجي الفرنسي المشهور «الجنرال آندريه بوفه»[٤] يذكر في كتابه المعروف «تمهيداً للاستراتيجية»[٥]:

«الاستراتيجية فن يمهد للتغلب على صعوبات العمل قبل التفكير بالوسائل والامكانات».

بإمكاننا تقدير صوره على المثال التالي: اذا كان لدينا برنامج سير باتجاه نقطة جغرافية معينة، فان المقصد. والوسيلة والطريق ومتطلبات السفر كلها مقدّمات الاستراتيجية وليست جزءاً منها. والاستراتيجية هي تخمين كيفية وسرعة الحركة في مواجهة صعوبات الطريق والموانع ؛ من ظلام الليل واخطار طبيعية اخرى ، التي بإمكانها ان تبعدنا عن الطريق المرسوم وما شابه ذلك.

وبإمكاننا القول بان الاستراتيجية : هي التدبير المناسب لصيانة المشروع في مواجهة الاخطار المحتملة والانفعال امام التحديات والموانع المختلفة.

يرى خبراء العلوم السياسية انه ليس من المفروض ان يكون رؤساء الجمهورية والسياسيون اكثر الناس فعالية ، بل ان كثرة نشاطهم قد يكون دليل ضعفهم وعدم امتلاكهم للاستراتيجية المحدّدة. فاهم أعمال هؤلاء السياسيين هي رسم الاستراتيجية والرقابة الكاملة على دقة تطبيقها في الساحة العملية؛ فحسن ادارة البلاد تتوقف على نوعية الاستراتيجيات المرسومة، فكلما كانت ادارة الدولة والبلاد تتجه نحو الافضل، فهو خير دليل على صحة الاستراتيجية المرسومة والمنتخبة.

هناك نقطة اخرى تساعد على فهم استراتيجية التقريب وهي: انها من المفاهيم الاضافية التي لا يمكن فهمها الا بعد معرفة المضاف اليه، ومن المعلوم ان لكل من الاستراتيجية العسكرية والاستراتيجية المانعة والاستراتيجية التطورية واستراتيجية المواجهة تعريف مختص به.

لذا نحن بحاجة الى معرفة مفهوم التقريب واهدافه جنباً الى جنب مفهوم الاستراتيجية، وسوف نتطرق اليه على نحو الاختصار.

مفهوم التقريب

يقول العلامة محمد تقي القمي المعمار الكبير لبناء الحركة التقريبية في القرن الاخير: (ليس من اهدافنا دمج المذاهب الفقهية، لأن الاختلاف امر طبيعي، وليس فيه أي ضرر، بل يستوجب سعة الافق الفكري والتسهيل والرحمة الالهية) [٦].

ومما لا شك فيه بأن التقريب لا يعني توحيد المذاهب الاسلامية واتخاذ مذهب بدلا عن المذهب الآخر، بل كما هو معلوم من صيغة التفعيل الذي يعني تقريب امرين مبعدين. فبداية يلحظ معنى التبعيد ومن ثم يتحقق التقريب، فالتنافر والتباعد ملحوظان مسبقاً في كلمة التقريب، وقد لا يكون منشأهما الاختلاف في الرأي وتفاوت الافكار بل مصدره الاختلاف في الاعتقادات الاصولية والجذرية المبتنية على الحقد الباطني والعداوة من الطرف الآخر.

لو استمع شخصان الى شريط مسجل لمتحدث، ولم يتم لهما العثور على المتحدث للاستفسار عن مغزى بعض ماورد في حديثه. فإن كان الاثنان متفقين على قدرة المتحدث العلمية وعطائه وساعيين الى الفهم الايجابي والانتفاع، حتى لو اختلفا في الفهم، فان هذا الاختلاف سوف يكون امراً طبيعياً وغير مفسد للودّ، والعمل العلمي المتكامل لا يولد العداوة والبغض، والتنافر فيما بينهما.

وليس من الضروري إيجاد فهم واحد لدى الاثنين بخصوص الموضوع المذكور. وبإمكانهما الانتفاع برأي كل منهما، بعد الاطلاع عليه. هذا اذا لم تتدخل عناصر اخرى لتزرع العداوة والحقد نتيجة الاستنباط، فحينئذ تتحول اجواء التفاهم والابداع المثمر الى صراعات مدّمرة تسيء الى المتحدّث، وبذلك يبتعد الجميع عن الرسالة التي كان يهدف اليها الناطق.

لكن لو فرضنا وقوع الخلاف والنزاع فيما بينهما في طريق الوصول الى الحقيقة من الممكن ان تتبع الاعمال التقريبية الآتية:

١. تبيين النقاط المشتركة في الفهم الحاصل، ومقايسته بالنسبة الى مواطن الاختلاف من حيث الأهمية.

٢- انتباه الجانبين الى الاثار المدمّرة للاختلاف التي قد تؤدي الى إنهيار اصل الرسالة المتوخاة.

٣- البحث عن المحمل المناسب والمقبول لاستيعاب نظرية الطرف الآخر.

٤- الكشف عن حقيقة العناصر التي تستغل الخلاف للوصول الى مآربها المبطنة.

٥- رصد ثمرات السكوت والصبر لكل منهما في طريق تحقيق اهداف الرسالة.

وهناك الكثير من الاعمال المؤثرة في طريق التقريب المؤدية الى ردم الهوّة بين الطرفين.

وأيضاً اتخاذ الطرق الوقائية المانعة من حصول الاختلاف المخرّب أو رفع الاختلاف بعد وقوعه، والسيطرة على عدم توسعه فيما بين الاطراف المختلفة، وتدوين الاصول المتعدّدة لأمور محتملة، ومعرفة التحديات والموانع ورفعها، تعتبر من استراتيجية التقريب.

يقول الدكتور محمد الدسوقي استاذ في الجامعة القطرية:

ان التقارب بين المذاهب هو في جوهره محاولة لكسر شوكة التعصب وجمع كلمة الامة على اصول عقيدتها والمبادئ الاساسية لدينها[٧].

ويذكر الدكتور احمد عبد الرحيم السائح: [٨]

«اذن التقريب ان يتحد أهل الاسلام على اصول الاسلام، التي لا يكون المسلم مسلماً إلاّ بها، وان ينظر الجميع فيما وراء ذلك نظرة من لا تبغي الغلب، وليكن يبغي الحق والمعرفة الصحيحة.

ويضيف ايضاً النقاط المشتركة فيما بين المسلمين قائلاً: فهي أمة واحدة ذات دين واحد وكتاب واحد و رسول واحد، هذه الاصول الثابتة التي تشترك فيها الامة، فإذا ادركتها جيداً والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منها امة واحدة تلتقي على وحدة الغاية، ووحدة المنهج، ووحدة القيادة، ووحدة العقيدة».

لاننا نعتقد ان الهدف في حياتنا هي الآية المباركة: ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾[٩].

الاطاعة الكاملة والعبودية الخالصة لله سبحانه، ومنهجنا في الحياة هو الآية المباركة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[١٠] فاطاعة لامره سبحانه ننتهج الوحدة تحت قيادة نبي الرحمة خاتم الانبياء محمد(ص)، فالاصول الاعتقادية واحدة فلسنا بحاجة الى من يتهم المسلمين بالبدعة والكفر.

وهنا مقولة لآية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بخصوص التقريب بين المذاهب الاسلامية:

الاتحاد سجايا وصفات واعمال وملكات، واخلاق فاضلة، الاتحاد ان يتبادل المسلمون المنافع ويشتركوا في الفوائد ويأخذوا بموازين القسط وقوانين العدل.. وليس معنى الوحدة ان يهضم احد الفريقين حقوق الآخر ويتغلب عليه، فيسكت. ولا من العدل ان يقال للمهضوم اذا طالب بالحق او دعا الى عدل

انك مفرّق أو مشاغب، بل ينظر الآخرون الى طلبه؛ فان كان حقا نصروه، وان كان حيفاً ارشدوه واقنعوه»[١١].

فمما ذكر بخصوص كلمتي الاستراتيجية والتقريب وما اشرنا اليه من المصاديق العملية التقريبية يتضّح ان استراتيجية التقريب تعني: تبيين السياسات العملية المؤدية الى صيانة الحركة التقريبية في مواجهة الحواجز والآفات، وإيصالها الى المقصود المتوخى وهذه العملية المؤدية تحتاج الى برامج عملية لتغطية الفجوات وملء الفراغ الموجود، والسيطرة على الصراعات المختلفة في العلاقات المشتركة، والحصول على الاهداف الموحدة للمذاهب الاسلامية.

فنحن هنا بحاجة الى كشف حقائق الامور التالية :

١ـ اهداف التقريب.

٢- السياسات العملية واستراتيجية التقريب.

٣- البرامج العملية للتقريب.

اهداف التقريب بين المذاهب الاسلامية

١ـ الممانعة من الاضمحلال الداخلي:

منذ بداية البعثة النبوية، ظهر الحقد والعداء ضد هذا الدين الجديد بانماط مختلفة؛ فالمشركون لم يخفوا حقدهم وغضبهم نتيجة نسخ دينهم السالف، والاستهزاء به لما يحمل من افكار خرافية، وإلاّ لم تكن بينهم وبين صاحب الرسالة واتباعه اية نزاعات شخصية من قبل.

فكانوا على استعداد للمصالحة والاتفاق بكل ما يرغب صاحب الدعوة الجديدة في ثروة او مكانة اجتماعية شريطة التخلي عن دعوته الجديدة ودينه. فسعى المشركون للاطاحة بهذا الدين العظيم والوقوف امامه بكل ما اوتوا من قوة وثروات ومناصب ، واستخدموا كل السبل المؤدية الى تحقيق غرضهم الواهي من التطميع والتهديد والتعذيب والحصار الاقتصادي والحرب النفسية والهجوم العسكري، ولكن لم يوفقوا في ذلك ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره...﴾.

فالحرب النفسية والداخلية تعتبر اسهل واسرع طريق يوصل الى الهدف، لكن القيادة الواعية للنبي الاكرم (ص) بعقد المؤاخاة بين المسلمين سدّت كل الطرق الممكنة الاستغلال بواسطة طغاة قريش، لايقاع العداء بين ابناء الامة الاسلامية، وآخت بين الانصار والمهاجرين، والأسود والابيض، والحر والعبد.

فسياسة زرع الفرقة بين المسلمين بأدنى شبهة وحيلة كانت متبعة دائما من قبل اعداء الاسلام؛ لذا فقد كانوا يرصدون كل تحركات النبي(ص) وعائلته، وعلاقاته مع الآخرين، واعطائه المناصب وتقسيمه للغنائم، وقرارات السلم والحرب، وكل حركة من الرسول (ص) كانت مرصودة كي تُستغَل لصالح الاعداء، وبث الفرقة بين المسلمين وتحريك عواطفهم، واعادة الخلافات القبلية القديمة من جديد، وقد تصل الحالة ببعض المسلمين الى التشكيك في بعض قرارات النبي(ص) والكل يعلم بأنه ﴿ما ينطق عن الهوى ان هو إلاّ وحي يوحى﴾.

فقد انقذ النبي الكريم (ص) سفينة الاسلام من كل العواصف التي واجهتها، وقادها الى ساحل النجاة بكل امان، ودافع عن حكومته الاسلامية الفتية بكل

حكمة ودراية امام كل الاخطار حتى في آخر لحظات حياته؛ فقد امر بتجهيز الجيش وارسال السرية للوقوف امام الهجمات العسكرية الى أن توفاه الله الذي يتوفى الانفس برحمته.

فهل من العقل ان يظن الانسان، ان بارتحال النبي(ص) وسيد الموحدين ترحل كل المؤامرات والتهديدات ضد العالم الاسلامي، وان الاعداء قد ندموا على مافعلوا وتخلوا عن عدائهم لصالح الاسلام، وتركوا المآذن ينطلق منها ذكر اسم الله ورسوله، واتخذوا نهج الحوار الايجابي نحو المسلمين، بل لابد من معرفة ان يوم ارتحال الرسول(ص) هو يوم استعادة الاعداء قواهم لزرع النفاق والفرقة في اوساط المجتمع الاسلامي، والاطاحة بهذه الحكومة الاسلامية الفتية.

لقد تصدّى الامام علي(ع)، إمامُ التقريب لكل المؤامرات التي دعت الى سقوط ما بناه النبي(ص) بصلابة وكياسة قل نظيرها وفي كلام له(ع) يقول:

«حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين الله وملة محمد(ص) وابراهيم عليه السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلماً وهدما يكون مصيبته اعظم عليّ؛ فمشيت عند ذلك الى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الاجداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى ابو بكر تلك الامور فيسّر وسدّد وقارب واقتصد فصحبته. مناصحاً، وأطعته فيما اطاع الله جاهداً[١٣].

وفي ذلك يقول الدكتور عبد المتعال الصعيدي استاذ جامعة الازهر: ان علي بن ابي طالب(ع) اول مؤسس للتقريب بين المذاهب الاسلامية، مع اعتقاده

بأنه اولى بالخلافة، لكنه ساير ابو بكر وعمرو عثمان ولم يألو أي جهد في مساعدتهم»[١٣].

وفي بيان آخر للامام علي(ع) يصف فيه ظروف الفتنة التي وقع فيها المسلمون بأن أبا سفيان عندما بلغه نبأ ارتحال النبي الكريم واجتماع الناس على ابي بكر، حضر الاجتماع وقال: والله اني أرى ناراً لا تطفأ إلاّ بالدم، أين بني عبد مناف؛ اين ابو بكر من ولاية المسلمين؟ فاين علي وعباس؟ ولماذا الحكم لغير بني عبد مناف؟[١٤].

وعندما اراد ابو سفيان ان يبايع علياً للوقوف امام ابي بكر فما كان من علي(ع) سوى الرفض للحفاظ على وحدة الامة الاسلامية الفتية.

فان خطر الاسلام على الاستكبار العالمي لا يقل عن خطر الاسلام في زمن الرسول(ص) ضد المشركين. فالعالم الاسلامي بما يمتلك من الثروات ومصادر القوّة وعدد النفوس مهدد من قبل القوى العظمى. لمعرفتهم بمنهجية الاسلام المعارضة للظلم والاضطهاد والداعية للعدل والوسطية. فالطريق الوحيد هو التماسك والوحدة واتباع السبل المؤدية الى عدم النزاع والسقوط من الداخل؛ فالتقريب يحقق الهدف المنشود لمواجهة التفرقة ومؤامرات اعداء الاسلام القديمة الجديدة.

٢- الحفاظ على كيان المسلمين:

مع ان عدد نفوس المسلمين يبلغ ربع العالم ويتجاوز المليار انسان لكنهم مع الاسف غير قادرين على حماية فلسطين في مواجهة قلة قليلة من الصهاينة، وهذا يدلل على ضعف المسلمين نتيجة الاختلافات الواهية، وابتعادهم عن اسس العزة والعظمة، وقد اراد القرآن لنا غير ذلك ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من

قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ فهل استطاع المسلمون ان يرصدوا الطعن والردّ المتقابل على منابر المسلمين وفي كتبهم وبياناتهم؟ وكم اثمرت هذه الجهود لتحقيق عظمة الاسلام وشوكته؟

فهل توجد اوضح من هذه القضية بأن التفرق والتشتت وانفصال اعضاء الجمع الواحد يعطي الفرصة المناسبة للعدو لاسقاط شوكتهم والسيطرة على جمعهم؟

لماذا تُسمع اجراس الخطر تدق متأخرة في مجتمع صانعي الحضارة، اعني مجتمع القرية الاسلامية الموحدة؛ الخطر الذي القى بكاهله عليهم مراراً وتكرارا ولم يوقضهم ؟

فاليوم معرفة نقاط ضعف المسلمين من الامور الضرورية في الحياة الاجتماعية، فهؤلاء اليهود يبذلون جهدهم لجمع مرتزقتهم من جميع بقاع العالم، ويدعون صهاينة المسيح للالتحاق بهم، ويتناسون خلافاتهم القديمة والجذرية مع المسيحية للوقوف امام عدوّهم الاساس؛ أي الاسلام، حسب زعمهم، فما معنى الاحتفاظ بأكثر من ثلاثمئة رأس نووي في الترسانة الاسرائيلية؟ فذاك شارون يصرح في أبريل ٢٠٠٤م: «ان امريكا تدرك وتدعم احتياج اسرائيل، وامتلاكها القوة المانعة في مواجهة تهديدات ايران، وكافة الدول المعارضة لوجود اسرائيل».

فهل من الجائز ان يتعاطف المسلمون مع اعدائهم في ضرب شوكة المسلمين، وتمزيق الجسد الواحد، وتفكيك المجتمع الاسلامي الموحد؟

عندما نستبدل مكان (نحن المسلمين) بأنا السني وأنا الشيعي وأن الحنبلي وأن الشافعي و... سوف لن نكسب فخراً وعزاً، فالسيادة والعظمة المدهشة

تتحقق في ظل اشعاعات استبدال الأنا الطائفية بنحن الاسلامية، وما اروع ماقاله استاد التقريب الكبير رئيس جامعة الازهر العلامة الشيخ محمود شلتوت: ان تقسيم المذاهب الى سنية وشيعية مجرد اصطلاح في التسمية، فالمسلمون جميعا هم اهل السنة لان الكل يعمل. بالسنة ويرون العمل بما امر النبي(ص) واجب»[١٥].

يقول المرحوم الشيخ سعيد شعبان:

لا أظن ان أمة من الأمم أصيبت بالفتن كما أصيبت امتنا، مع ان الحق مازال فيها ثابتا ومحفوظا بيننا، كنت في الصغر اصلي في المسجد العمري في بيروت فكنت ارى الشيعة والسنة يصلون معا في مسجد واحد، فما تأذى أحد منهم من احد.. هكذا عرفنا الاسلام ديناً واحداً. اتريدون ان تعرفوا من هو شيخ الضلال من شيخ الهداية؟ شيخ الضلال الذي يعلمك بماذا تختلف مع المسلمين وشيخ الهداية الذي يعلمك بماذا تتفق مع المسلمين. قال احدُهم في كتاب (جاء دور المجوس) في الجزء الثاني «ان الشيخ سعيد شعبان تشيع وزوج اخته بشيعي وزوج ابنته شيعياً» هذا ماقاله مؤلف الكتاب وانا اقول لكم بأنني لم أتسنن حتى أتشيع أنا اسلمت منذ البداية، وعلمت ان الاسلام هو دين الله: ﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾ نعم انا اسلمت وبكل فخر لأنني لم احفل بتعصب السنة ولا بتعصب الشيعة[١٦].

فالتقريب يحافظ على عظمة المسلمين ووحدتهم ويوجد الرهبة في القلوب المريضة التي تفكر في التعرض والعداء للاسلام.

فالمجتمع الذي يحمل شعار الاسلام وعنوانه الدي يغطي الفجوات لا يمكن للعدوان ان يرسخ فيه ويشق الصف ويتخذ من الانشقاق مأمناً لتوجيه ضرباته المتتالية.

٣- بتر الاطماع:

لو تصفحنا كتاب تاريخ الاسلام المليء بالحوادث لشاهدنا آثار انياب الذئاب الضارية التي افترست جسد اتباع الدولة المحمديّة:

يقول الامام محمد حسين ال كاشف الغطاء:

وقد عرف اليوم الأ بكم والاصم من المسلمين أن لكل قطر من الاقطار الاسلامية حوتاً من حيتان الغرب وافعى من افاعي الاستعمار فاغراً فاه لالتهام ذلك القطر وما فيه، افلا يكفي هذا جامعاً للمسلمين ومؤججا لنار الغيرة والحماس في عزائمهم؟ افلا تكون شدة هذه الآلام وآلام تلك الشدة باعثة لهم على الاتحاد واماتة ما بينهم من الاضغان والاحقاد. وقد قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد»[١٧].

فالوطن الاسلامي يزخر بالثروات الطبيعية المتنوعة، وكان ولازال هدفاً لاطماع القوى المستعمرة. فالشرق الاوسط يحتوي على الكثير من مصادر الطاقة والمصادر الجوفية، وكثير من البقاع الافريقية بما تحمل من ثروات طبيعية، هي جزء من الجسد الاسلامي. وهناك الكثير من المسلمين في بلاد الغرب، فالوحدة هي العامل الاساس للوقوف امام اطماع عصابات السطو الدولية المسلحة التي تدخل البلاد الاسلامية باسم الدفاع عن الامن وحقوق الانسان وتسلب المسلمين أمنهم وحقوقهم.

فالاتحاد عنصر مهم ومؤثر في فضح المؤامرات واطفاء نارها وابطال مفعولها. أليس من العجب انتصار المسلمين الاوائل بالعدد والعدة القليلة على اكبر امبراطوريتين آنذاك بما لهما من قدرات وامكانات.؟

واليوم تنتهك حرمات المسلمين وتغصب ثرواتهم واراضيهم الواحدة تلو الاخرى، وهم على عدد وعدة كثيرة.

وباختصار نذكر اسباب طمع القوى الاستكبارية .

الف – الاعتقاد الخالص لدى المسلمين بمبادئ مقارعة الظلم ومقاومة الاستعمار.

ب – المواقع الاستراتيجية للوطن الاسلامي وما يشتمل عليه من الاراضي الزراعية والذخائر الجوفية.

ج – القوى الانسانية التي تبلغ ربع العالم.

د- تقدّم علماء السلف في العلوم والفنون وآثار الحياة الحضارية القابلة للتجديد.

٤- تحقق هدف الرسالة المحمّدية:

مما لا ينبغي الشك فيه ان حب المسلمين لنبي الاسلام يفوق حبّهم لاولادهم واعراضهم وكل شيء لديهم فهو ابو الامة ونبي الرحمة وصاحب الخلق العظيم. فالاختلاف في العائلة او القبيلة الواحدة يؤذي كبيرها، ويلقي غبار الاسى على قلبه، اما حان وقت الاتحاد والتكاتف لأفراح قلب رسول الرحمة ﴿حريص عليكم﴾[١٨] والذي سعى جاهدا لاعلاء كلمة الله وعز المجتمع الاسلامي ﴿طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[١٩] فالنبي(ص) لا يرضى لنا العداوة والشقاق فهما من عمل الشيطان ﴿انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء﴾، فالشيطان هو المنتصر عن طريق الشقاق والنفاق والنزاع والعداوة، والذي امرنا به رسول الله كراراً هو الاتفاق ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[٢٠]. ﴿واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[٢١]. ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدماجائهم البينات واؤلئك لهم عذاب عظيم﴾[٢٢]. وعن الرسول(ص) (ما اختلفت امة بعد نبيها الا ظهر اهل باطلها على اهل حقها) [٢٣]. وعنه(ص) «لا تختلفوا فان من كان

قبلكم اختلفوا فهلكوا»[٢٤]. وعن علي(ع): «والله لا اظن ان هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم»[٢٥].

فليس من الانصاف ان نقابل بالاختلاف جهود النبي(ص) على مدى ٢٣ سنة خدمة للامة وتوحيدها، بل العكس هو الصحيح بان نتجنب الخلافات والنزاعات المقيتة ونعيد البسمة لشفاه النبي والاتحاد هو اقل الواجب على كل مسلم في المجتمع الاسلامي. يقول الدكتور محمد الدسوقي[٢٦]. «الوحدة الاسلامية بحكم الفقه واجب شرعي وليس مجرد عمل ترغيبي تبرعي فهو عمل واجب على كل مسلم معتقد بوحدانية الله ونبوة خاتم الانبياء».

استراتيجية التقريب

لقد جرت عادة الباحثين والخطباء من رواد التقريب على ذكر ايجابيات الوحدة وفضائلها، وعلى اهمية الاتحاد وضرورته وثمراته البناءة لصالح المجتمع الاسلامي. وقد أتّهم كثير منهم بالعمالة والإلحاد والخروج عن مذاهبهم الفقهية، فهم مشكورون على كل مابذلوه من جهد لتأليف قلوب ابناء الامة الاسلامية، اثر دعوتهم المرشدة الى طريق الهداية.

ولكن الحاجة الملحة تتمثل في رسم الاستراتيجية التقريبية، وتشكيل لجان في مختلف المجالات، ودراسة سبل الوصول الى الاهداف المنشودة، متزامنة بنشاطات عملية تطبيقاً للاستراتيجية المرسومة.

لقد تطرقنا الى اهداف التقريب وتعريف مصطلحي الاستراتيجية والتقريب، وينبغي البحث حول الاستراتيجية التقريبية بين المذاهب الاسلامية والسبل العملية التي توصلنا الى الاهداف التقريبية.

١ـ إزالة التوتر:

سعي اعداء الاسلام لإشعال فتنة الاختلاف أمر واضح للعيان ، فاختلاق شخصيّات اسلامية وهميّة باسم العلامة البلجيكي والشيخ الالماني والمفكر الاسلامي الفرنسي و... واقامة مؤتمرات لدراسة التاريخ الاسلامي وامثاله، هي في الواقع حركة لتأجيج مشاعر الاختلاف بين المسلمين، واحياء الحقد الاعمى الدفين والحوادث التأريخية المرفوضة وتعظيمها، وغلق ابواب التقارب المعرفي والعلمي والايجابي بدلاً من فتحها، واعادة لغة التحريم والطعن واللعن الى اوساط المجتمع الاسلامي، مع ان التاريخ يتحدث عن علاقة الخلفاء الراشدين وتسمية ابناء بعضهم على اسم البعض الآخر، واقامة العلاقات الزوجية والعائلية، وحضور جماعتهم مع وجود الاختلاف الذي كان بينهم حول كيفية ادارة الدولة الاسلامية والخلافة بعد ارتحال النبي الكريم(ص). وهكذا كان ديدن بقية الاصحاب والتابعين من بعد الخلفاء. وحتى الائمة الاربعة واتباعهم إتخذوا طريقة السلف، وقد صلى بعض الائمة خلف الآخر، مع ان الفتوى في كيفية الصلاة كانت مختلفة فيما بينهم، وهناك امور شاذة نقلت في التاريخ تتحدث عن وقائع خلافيه نتيجة الفهم الخاطئ لبعض الفتاوى، أو الجهل، أو مكر الاعداء لإيجاد الفتنة والتشاحن في المجتمع الاسلامي، فالعالم الورع المطيع لأمر الله ورسوله وان اختلف مع الآخر في رؤيته وفتواه لكنه لا يرتضي التجريح . فالامامية تقول بفقاهة واجتهاد الائمة الاربعة، والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب، فعدم تبعيتهم في الفتوى لا يستوجب عدم الاحترام.

يقول الدكتور عبد المجيد سليم شيخ الازهر سابقاً:

ولقد كان اصحاب رسول الله(ص) والتابعون لهم بإحسان والائمة عليهم الرضوان يختلفون، ويدفع بعضهم حجة بعض، ويجادلون آراءهم بالتي هي

احسن، ويدعون الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم نسمع ان احداً منهم رمى غيره بسوء، أو قذفه ببهتان، ولم يكن هذا الاختلاف بينهم ذريعة للعدواة والبغضاء، وان آراءهم فيما اختلفوا فيه قد اتخذت من قواعد الايمان واصول الشريعة، التي يعد مخالفها كافرا أو عاصيا لله تعالى، وقد كانوا يتحامون الخوض في النظريات وفتح باب الاراء في العقائد واصول الدين، ويحتّمون الاعتصام فيها بالمأثور سداً لذريعة الفتنة، وحرصاً على وحدة الامة وتفرغاً لما فيه عزهم وسعادتهم وارتفاع شأنهم؛ ولذلك كانوا اقوياء ذوي عزة ومهابة (٢٧).

وبخصوص امكانية بلورة ضرورة وجود الاختلاف بلا توتر و تجريح يقول الدكتور عبد الرحيم السائح:

فالحق كل الحق انه لا ضرر على المسلمين في ان يختلفوا، فان الاختلاف سنة من سنن الاجتماع، ولكن الضرر في ان يقضي بهم الخلاف الى القطيعة، والخروج من مقتضى الاخوة، التي اثبتها الله في كتابه العزيز، لا على انها شيء يؤمر به المؤمنون، ولكن على انها حقيقة واقعة رضى الناس ام أبوا، ومدارس الفكر المختلفة داخل الاسلام شيء طبيعي، ومرغوب فيه وليس منه بُدٌّ مادام الاسلام ديناً حياً للاحياء، لكي يزدادوا حياة، وبكل تأكيد ستظل المذاهب الكلامية ومدارس الفكر في الاسلام باقية مابقي للمسلمين حاجة الى التعبير عن تراثهم العقلي والروحي، وليس من مصلحة الاسلام والمسلمين كبت النشاط العقلي والروحي داخل الاسلام؛ لان من اجل ما يقدمه المسلم لدينه ان يفكر فيه ويشعر به، والاسلام يضعف ويصبح تراثاً جامداً محنطاً اذا لم يعمل فيه الفكر (٢٨).

ان دائرة الفكر لها من السعة والسماحة بحيث تستوعب الكثير من الآراء المختلفة والمتنوعة بكل طيب ورحابة، وهناك نماذج تاريخية كثيرة في هذا المجال.

نذكر هنا بعض الطرق العملية المؤدية الى رفع التوتر:

١/١- منع إهانة وسب اتباع الفرق الاسلامية على لسان قادة واتباع الفرق الاسلامية الاخرى.

ومن المعلوم ان القرآن يوصينا بعدم سب قادة الكفر، فكيف بقادة المسلمين ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ (٢٩).

وعندما سمع الامام علي(ع) ان بعض اصحابه يسب اهل الشام لاعمالهم قال: اني اكره لكم ان تكونوا سبّابين ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم».

وقيل ان رسول الله (ص) منع من سب الشيطان الرجيم (٣٠).

فاذا كان هذا هو بيان القرآن وكلام الرسول(ص) والامام علي(ع) فنحن بأي مجوز نسمح لأنفسنا ان يسبَّ بعضنا الاخر؟ وان نكتب مالا يليق بالمسلم؟ وهل هذا يخدم المصلحة الاسلامية ويؤدي الى رقي المجتمع الاسلامي؟

١/٢ نفي التهم الموجهة على لسان قادة الفرق الاسلامية:

تطبع الكثير من الكتب للاساءة الى الفرق الاسلامية، وإشاعة العداوة والبغضاء، وتدفع الاموال من جهات معروفة معادية للاسلام، وبعضها خلف الستار. ومن حسن الحظ ان هناك الكثير من العلماء والمفكرين شيعة وسنة نشروا المؤلفات المنصفة والمزيلة للفتن المختلفة، وبجهودهم وجهادهم المستمر كشفوا الحقائق وأبطلوا الاباطيل والتهم الموجهة ضد المسلمين باسم المسلمين وعلينا ان نشكر الاقلام الخيّرة ونؤيدها وندعمها جميعاً.

١/٣- اعلان البراءة من المتطرفين:

عندما يقدم كاتب عالم أجير أو محب جاهل على جرح الجسد الاسلامي وتمزيقه، ينبغي على خبراء الفرق الاسلامية وعقلائها الاسراع الى تضميد ذلك الجرح، ولمّ الشمل قبل ان يؤدي الجرح الى القطع والانفصال بين اعضاء الجسد الواحد، وقد حصلت وقائع عديدة توجب الخلاف والاختلاف .

١/٤ تبيين مواطن الوفاق والاختلاف:

ان وجود الاختلاف فيما بين المذاهب الاسلامية شيعة وسنة يعتبر امراً طبيعيا لابد منه، ولكن المهم ان نبرز وجوه الوفاق العديدة فيما بين هذه المذاهب للحفاظ على موارد الاختلاف الطبيعية، ورفع التوتر فيما بين ابناء هذه المذاهب.

يقول السيد المرتضى قام رجل من الزيدية في محضر درس الشيخ المفيد بحضور ما يقارب الخمسمئة من الزيدية وغيرهم في مسجد الكوفة سائلاً الشيخ عن سبب انكاره لامامة زيد بن علي(ع) وهو يقصد الفتنة والاختلاف فأجابه الشيخ: قد ظننت باطلاً، ما اعتقده لا يعارضني فيه أي من الزيديّة. فسئل الرجل وما تعتقد؟ فاجاب الشيخ: المقبول عندنا في امامة زيد هو ما يقبله الزيدية وما ترفضه الزيدية نحن رافضوه ايضاً. فالمقبول هو ان زيداً كان اماما في العلم والزهد والامر بالمعروف والنهي عن النكر، والمرفوض هو ان الامامة بمعنى امتلاك النص والعصمة والمعجزة، وهذا مالا ترضى به حتى الزيدية، فالحضور من الزيدية شكروا الشيخ المفيد على اجابته وابطلت فتنة الرجل»[٣١].

١/٥ التمييز بين راي الشخص والمذهب:

في كل مذهب هناك شخصيات واحاديث لو ادخلت مختبر التفحص والتمحيص المغرض لأدت الى تأجيج النزاع والخلاف فيما بين المذاهب. ولكن

من المعلوم لا يمكن ان يعتبر ذلك هو رأي المذهب بكامله، وقد ورد على لسان علماء وقادة المذاهب الاسلامية مراراً بأن آراء الافراد مهما كان ذا مكانة فهو رأيه، وملاك الحكم على كل مذهب ما يذهب اليه جمهور علمائهم، وغالباً هو الرأي المعقول والمقبول والبعيد عن الاختلاف والفتنة.

٦/١- ابعاد المتطرفين عن مراكز القرار:

ان المواقف الطالبانية وصدور الفتاوى بحلية دماء واعراض الآخرين بامكانها ان تخلق توتراً في اوساط المجتمع الاسلامي. فوجود امثال هؤلاء في مراكز القرار والفتوى ضرره على المسلمين اكثر بكثير من الجيوش العسكرية الجرارة.

فمن المفروض ابعاد هؤلاء عن منابر الفتوى ومنعهم عن اصدار الاوامر المخربة، باتباع الآليات المناسبة، واقامة وحدات استشارية منطقية مقبوله لدى الجميع في السيطرة على التوتر وايقافه.

٢- الاقتدار

نحن بحاجة الى مجتمع اسلامي قوي ينشط فيه العلماء والاعمال الخيرة، ويسعى نحو التنمية في مجالات مختلفة علمية واقتصادية وتكنولوجية.

فكثير من الاختلافات ونقل الاباطيل والاحاديث الفارغة هو حصيلة الضعف الاقتصادي والركود العلمي في الدول الاسلامية، الموجب للوقوع في مصيدة الآخرين. فالعالم اليوم يتجه بسرعة نحو التطور والتكامل العلمي، ويجدد الفرضيّات العلمية والفلسفية المتناوبة، ويتخلص من جزمية القرون الوسطى نحو التعقل المتعادل ثم التجريبية والحداثة ومابعدها وما شابه ذلك، ولازال البعض عندنا يتوقف في البحث عند الكسرة والفتحة في لام ارجلكم.

فاقتدار المجتمع الاسلامي من الامور الاستراتيجية المؤثرة في طريق التقريب، وقد اكد الامام الخامنئي على هذه النقطة في كلماته وبياناته العديدة:

الطرق العملية المقترحة:

٢/١- انشاء جامعات دولية تقريبية.

٢/٢- السعي للحصول على الطاقة الذرّية ونانوتكنولجي وبيوتكنولجي.

٢/٣- توسعة العلاقات الاقتصادية فيما بين الدول الاسلامية والتقيد بأولويتها بين الدول الاسلامية بالنسبة الى غيرها.

٤/٢- ايجاد المنظمات الاقتصادية للدول الاسلامية.

٣- البنية العلمية

تقوية الوسائل المعلوماتية تعتبر اليوم من الامور المهمة في عصر «انفجار» المعلومات، يقول الرئيس جورج بوش الاب في اخر عهده الرئاسي: كرئيس للولايات المتحدة اقول لكم كونوا على ثقة بان عمليات التنصّت هي العنصر الاساس لاتخاذ القرارات المصيريّة في المسرح الدولي [٣٢]. وخلال العام ١٩٩٤م اعلنت اسرائيل ان ٤٠% من ميزانيتها اختصت بالعمل الثقافي وهذه النسبة ترفع في حالة السلم.

فاستخدام عناصر الثقافة والمعلوماتية ووسائل الاعلام له الدور الاكبر في نجاح المجتمعات الانسانية. فمشروع التقريب العظيم اذا لم يستخدم تكنولوجية الـ it قد لا يصل الى هدفه النهائي.

ان للمعلومات والاعلام دور كبير في تقديم صورة العلاقات الداخلية للفرق الاسلامية فيما بينها، وكذلك مع غيرها خارج دائرة العالم الاسلامي، ولها الدور

الكبير ايضاً في النتائج السليمة لعملية التقريب. هناك بعض الطرق العملية نذكرها فيما يلي:

٣/١- تزويد ابناء الفرق الاسلامية بالمعلومات الكافية عن بعضهم البعض؛ وذلك من خلال نشر الكتب والمقالات والمجلات ووسائل الاعلام اليومية.

٣/٢- توعية المسلمين على المشاريع العالمية، وما يجري خلف الستار في هذه القرية الكونية كمشروع الشرق الاوسط الكبير، العولمة، واتفاقيات عالمية أخرى كالـ NPT وغيرها.

٣/٣- الاستثمار الافضل من موسم الحج العظيم .

٣/٤- تهيئة الظروف لتسهيل لقاء علماء ومفكري العالم الاسلامي وتبادل الاراء فيما بينهم.

٣/٥- اصدار بيان واحد جامع لشعوب العالم الاسلامي.

٣/٦- مراجعة وتصفية التراث الاسلامي وكشف الحاوي منها على اصول المذاهب الاسلامية الاصيلة والداعية الى التقريب.

٣/٧- تهيئة الارضية الفكرية والقانونية والحقوقية اللازمة لايجاد اتحاد الدول الاسلامية.

٣/٨- اقامة شبكة واحدة ومرتبطة بين مجامع التقريب الاسلامية في ايران ولبنان، ومصر، والعراق، و... واقامة الكنفدرالية الدولية للتقريب بين المذاهب الاسلامية.

خاتمة:

وفي ختام المقال نؤكد مرة اخرى على اهمية الدور الذي قام به رواد التقريب في العالم الاسلامي وما اثمر من اتحاد وحدة إسلامية بناءة ينتفع بها المجتمع الاسلامي كافة. ونتيجة للظروف القائمة، والانفتاح الحاصل على

حدود انتشار العلوم والمعلومات فلا مكان للاباطيل السالفة المدبرة على اياد مغرضة، تنشرها عناصر جاهلة بالواقع والمصالح الاسلامية العليا؛ فالتطرف مرفوض من كل الجهات أي كانت، والكتب التي تسعى لبث الفرقة وزرع الحقد والضغينة غير مرغوبة في اوساط الجيل الاسلامي المثقف، الذي يعي خطورة الفرقة وآثارها السلبية المهدرة للطاقة الانسانية الاسلامية، وما تؤدي اليه من خسران في الثروات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في عالمنا الاسلامي، وايضاً لا مجال للتهم الموجهة من البعض ضد الآخر، من ابناء المذاهب الاسلامية، فلا قرآن سوى كتاب الله المجيد، ولا كعبة سوى كعبة البيت الحرام بمكة، ولا نبي سوى محمد بن عبدالله(ص)، ولا معادٍ لآل البيت(ع) سوى النواصب الذين لا أثر لهم اليوم، فالى وحدة اسلامية تحت لواء لا اله الا الله، محمد رسول الله تعم العالم الاسلامي وتشمل رحمتها جميع بني الانسان على وجه الارض.

الهوامش:

١ - ثم تأسيس دار التقريب الاسلامي في مصر عام ١٣٢٥هـ . ش – ١٩٤٦م – وذلك على يدالعلامة محمد تقي القمي (ره) وجمع من العلماء والاساتذة تحت اشراف رئيس جامعة الازهر آنذاك الشيخ مصطفى عبد الرزاق.

٢ - Straloglet (فرانسه) Strategy (انكليسي).

٣ - فرهنگ علوم سياسي، على آقا بخشي، مينو افشاري، نشر چاپار، ص ٥٦٨.

٤ - Andre beaufer- .

٥ - Introduction a la strategie.

٦ - مناديان تقريب، العلامة محمد تقي قمي، ص ٦٦.

٧ - على دروب التقريب، ص ٥٤ دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، بيروت، شارع جان دارك.

٨ - المصدر نفسه، ص ٦٥ ٦٣ .

٩ - الذاريات/ ٥٦.

١٠ - آل عمران/ ١٠٣.

١١ - حول الوحدة الاسلامية ، ص ٣٦، منظمة الاعلام الاسلامي الطبعة الاولى، ١٤٠٤هـ . ق.

١٢ - الغارات ٣٠٢/١، بحار الانوار ٥٦٨/٣٣، ابن ابي الحديد ٩٥/٦ و ١٧٥١).

١٣ - رسالة الاسلام، السنة الثالثة، العدد الرابع.

١٤ - تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٣٣١.

١٥ - اتحاد المذاهب، دكتر عبد الكريم بي آزار شيرازي، ص ٣٥٢.

١٦ - ملحمة الوحدة، ص ١٧.

١٧ - حول الوحدة الاسلامية، منظمة الاعلام الاسلامي، ص ٣٧.

١٨ - التوبة/ ١٢٨.

١٩ - طه/ ١،٢.

٢٠ - آل عمران/١٠٣.

٢١ - الانفال ٤٦.

٢٢ - آل عمران/ ١٠٥.

٢٣ - كنزل العمال حديث رقم ٩٢٩.

٢٤ - كنز العمال حديث رقم .

٢٥ -نهج البلاغة خطيبة ٢٥.

٢٦ - على دروب التقريب، دار التقريب – بيروت ص ٥٩.

٢٧ - مجلة رسالة الاسلام العدد الاول السنة الاولى ربيع الاول ١٣٦٨ هـ . ق .

٢٨ - على دروب التقريب ص ٦٥و ٦٧.

٢٩ - الانعام/ ١٠٨.

٣٠ - كنزل العمال رقم الحديث ٢١٢٠.

٣١ - ملف الوحدة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، ص٢٥.

٣٢ - مجلة سياحة الغرب – الرقم ٤ – ص ٤٤ – مركز الابحاث التابع لاذاعة وتلفزيون الجمهورية الاسلامية الايرانية نقلاً عن مجلة كنفيدا نسيل دفانس ژونيه ٢٠٠٠.